تعريف نظرية الأدب وحدودها

- لعل أول سؤال يطرح نفسه على دارس الأدب يكون حول الشيء الذي يميز النص الأدبي عن غيره، وبذلك التساؤل فأنه يكون قد فتح أبوابا عدة من الإجابات المحتملة غير القطعية.

- من التساؤل السابق تتفرع أسئلة كثيرة حول قضايا تتصل بالأدب مثل اللفظ والمعنى، والإلهام والوحي، وعلاقة الأدب بالحياة باعتباره مراءة لها، وعلاقته بالأيديولوجيا، وبالفنون والمعارف الإنسانية وغيرها.

- الاختلاف في الإجابة عن تلك التساؤلات حول الأدب ومتعلقاته ناتج عن اختلاف آراء المنظرين والمشتغلين بالدراسات الأدبية، وهو جزء من تباين البشر في الإجابة على كثير من تساؤلات الحياة. فالأدب نشاط إنساني ينطبق عليه ما ينطبق على كثير من قضايا الحياة الإنسانية.

- الإجابة على السؤال السابق تقتضي البحث في اتجاهات عدة، فيما قبل النص، وفي ماهية النص، وفيما بعد النص، وهي المجالات التي تبحث فيها نظرية الأدب باختصار

- إن دراسة الأدب تقتضي الأخذ في الحسبان الأركان الثلاثة للظاهرة الأدبية: (المبدع- النص- القارئ)

- من الطبعي أن نجد نتيجة ذلك الاختلاف في تعدد تعريفات الأدب، والذي هو في حقيقته اختلاف في الفلسفات التي ينبع منها كل تعريف، والتصورات الشمولية التي ينطلق منها كل من يتعامل مع الأدب ويحاول تعريفه وتأطيره. فاختلاف الغاية يؤدي إلى اختلاف الوسيلة كما يقال.

- **الدلالة اللغوية** لكلمة (نظرية) مأخوذة من (نظر) بمعنى الرؤية، لكن ليس المقصود ما تقوم به العين عن طريق البصر، وإنما المقصود الدلالة الفكرية، أي الرأي والفكر والتصور الذهني، فمن النظر تشتق النظرية، وهي أقرب إلى التصور الذهني المجرد.

- **تعرف نظرية الأدب** : بأنها مجموعة من الأفكار والآراء القوية والمتسقة والعميقة والمترابطة والمستندة إلى نظرية في المعرفة أو فلسفة محددة والتي تهتم بالبحث في نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته.

- إذن فنظرية الأدب تدرس الظاهرة الأدبية بعامة، من منطلق شمولي في سبيل استنباط وتأصيل مفاهيم عامة تبين حقيقة الأدب وأثاره. وهذا ما يميزها عن غيرها من مجالات الدراسة الأدبية الأخرى.

- وهي تحاول تقديم إجابات متسقة ومتكاملة حول الأدب، لأننا قد نجد كثيرا من الأفكار الجزئية لكنها لا تستند إلى فلسفة محددة ولا ترقى إلى مستوى النظرية، ذلك أن اللبنات الأولى لأفكار النظريات قد عرفت منذ القدم.

- يعتبر النقد الأدبي وتاريخ الأدب أكثر حقول الدراسة الأدبية تداخلا مع نظرية الأدب، حتى إنه يصعب فصلها عن بعضها البعض، وقد كانت بعض أفكار النظرية تدرس ضمن هذه الحقول من الدراسات الأدبية.

- كل نظرية تحاول تقديم تصور شمولي للأدب وتسعى إلى تقديم تفسير متكامل حول الظاهرة الأدبية منطلقة من زاوية محددة، ومتأثرة بظروف معينة وخلفية معرفية محددة.

- إذا عدم الكمال جزء من طبيعة الإنسان فإن كل نظرية أدبية تأتي محاولة تفادي جوانب القصور في سابقتها، بمعنى أنها في الغالب متولدة منها،

- كما أن من طبيعة الفكر البشري التتابع والتراكم والتطور والبحث عن الجديد، وهو ما نلاحظه في تعدد نظريات الأدب واختلافها، دون أن يعني ذلك تناقضها.

- يجب أن نأخذ في الحسبان أن كل واحدة من نظريات الأدب المختلفة ما هي إلا نتاج لمرحلة حضارية وتاريخية معينه ولكنها بالتأكيد ليست محدودة بحدودها. فقد تتراجع في فترة وتعود للظهور في مرحلة تالية.

- **المجالات التي تهتم نظرية الأدب بالبحث فيها:**

١- البحث في نشأة الأدب من خلال العلاقة بين الأدب والمبدع.

٢-البحث في طبيعة الأدب من خلال خصائص النصوص الأدبية وسماتها وتركيبها.

٣-والبحث في وظيفة الأدب من خلال العلاقة بين الأدب والمتلقي.

- أي محاولة لدراسة الأدب ونقده لابد من أن تكون مستندة إلى تصور نظري ما للأدب وأن تراعي الأركان الثلاثة، فكل ممارسة تطبيقية في الحياة ناتجة عن تصور ذهني مسبق، لذلك فالتعامل مع الأدب (إبداعا ونقدا) يستند كذلك إلى مجموعة من التصورات.

- النظرية الأدبية مثلها مثل النقد الأدبي والتاريخ الأدبي تكون تالية للأعمال الأدبية، إذ يستنتج منظروا الأدب نظرياتهم من خلال تأمل ومتابعة تراكمات النصوص.

- إذا كنا نتفق بأن لكل من المجالات الثلاثة تخصصه: فإن المنظر الأدبي يهتم بجملة من النصوص الأدبية ليس من أجل إصدر أحكام أو انطباعات تأثرية كما يفعل الناقد، أو من أجل بيان ظروف كتابة النص وصاحبه كما يفعل المؤرخ، ولكن من أجل استنباط مبادئ عامة وشاملة توضح حقيقة الأدب.

- تأخذ نظرية الأدب في حسبانها علاقة الأدب بالفنون الأخرى، وعلاقة الأدب بالتحولات الفلسفية، والظروف الحضارية اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا.

- الأفكار التي تدعو إليها النظريات الأدبية ليست جديدة في حد ذاتها بل أفكار معروفة منذ القدم ولكن التكامل والنضج والوعي والترابط هو ما يميزها وقد سبق أن اشترطنا في التعريف استنادها إلى خلفية فلسفية أو نظرية في المعرفة.

- أيضاً فقد كان لازدهار الفلسفة في الغرب أثر مباشر في تتابع النظريات الأدبية.

- عند استدام كلمة الشعر في هذه المادة فإن الأمر لا يقتصر عليه، وإنما نقصد الأدب باعتبار الشعر جنس من أجناس الأدب، لكن بعض المنظرين للأدب قد يقدم تصوراته من خلال هذا الجنس وخصوصا القدماء. لأننا ندرس الأدب عموما.

- كذلك قد نجد من يتحدث باسم الفن، وهذا أيضا يقصد الأدب، لأن الأدب واحد من الفنون، وما ينطبق عليه يصدق على كثير من الفنون، مثل الرسم أو النحت أو غيرها.